

افعله لك» (اصموئيل ٢٠:٤). وهذا تطبيق عملي للقاعدة الذهبية، إذ نجد أن يونانان وضع نفسه مكان داود المُطارد المظلوم من قبل أبيه، وأبدى استعداداه لكي يفعل كل ما يطلبه منه داود.

ويذكر لنا سفر صموئيل الأول كيف دبّر يونانان خطة لكي يهرب داود (اصموئيل ٢٠:١٨-٢٣). وفعلاً تمّ تنفيذ الخطة وهرب داود من أمام الملك شاول، ونجا بحياته (اصموئيل ٢٠:٣٥-٤٢). لقد كان داود بريئاً، وعلم يونانان أن الله مع داود وأن معه الحق، وهو الجدير بالملك والبركة، ولهذا حاول إنقاذه من تأمر والده ومكايده. ولو افترضنا العكس أي أن يونانان كان إنساناً أنانياً، ويريد الملك لنفسه، وهو يستطيع ذلك، إذ هو الوارث الشرعي لوالده، فماذا كان حصل؟ لكان خسر كل شيء، وخسر صداقة داود، وأهم شيء خسر رضى الله عنه.

«لأنّ هذا هو الناموس والأنبياء»

لنلاحظ قول الرب يسوع المسيح في هذه القاعدة الذهبية « لأنّ هذا هو الناموس والأنبياء». فههدف الناموس أو الشريعة أن يجعل الإنسان محباً للآخرين كمحبته لنفسه « لأنّ كل الناموس في كلمة واحدة يُكمل. تحبّ قريبك كنفسك» (غلاطية ٥:١٤). ولقد سمّى الرسول يعقوب هذه القاعدة بالناموس الملوكي (راجع يعقوب ٢:١٨). ولم يختلف هدف الأنبياء - أنبياء العهد القديم- عن هذا المقياس، بل بالعكس أكدوه ودعوا إلى صنع الحق (العدل) ومحبة الرّحمة « قد أخبرك أيها الإنسان ما هو صالح. وماذا يطلبه منك الرب إلا أن تصنع الحق وتحب الرّحمة وتسلك متواضعاً مع إلهك» (مياخا ٦:٨).

المسيح يقَدّم أمثلة عملية

ولقد قدّم لنا الرب يسوع المسيح أمثلة عملية، لكي يساعدنا على تطبيق هذه القاعدة الذهبية. فنجد

«فكلُّ ما تريدون أن يفعل الناس بكم..»

بقلم: شكري حبيبي

« فكلُّ ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا

هكذا أنتم أيضاً بهم. لأنّ هذا هو الناموس والأنبياء» (متى ٧:١٢). معظمنا يطلب أن يعامله الناس بمحبة، باحترام، برحمة، بلطف، أن يتفهموا موافقه، وأن يدافعوا عنه. لكن قليلاً ما نحاول أن نطبّق نحن نفس هذه المعايير على الناس من حولنا. أي أن نقدم لهم المحبة والاحترام، ونعاملهم باللطف، ونظهر لهم الرّحمة، وأن نتفهم مواقفهم وندافع عنهم. أي تماماً كما جاء في القاعدة الذهبية التي وضعها الرب يسوع المسيح، أنه يجب علينا أن نعامل الآخرين كما نريدهم أن يعاملونا. وهذا بالطبع مقياس عالٍ جداً، ومستوى صعب لكنه ليس بالمستحيل.

مثال يونانان وداود

إذا عُدنا إلى قصة علاقة الملك والنبي داود بيونانان ابن شاول، لوجدنا مثلاً واقعياً وتطبيقاً حياً لهذه القاعدة الذهبية. فبالرغم من أن يونانان وهو الابن البكر لشاول، الذي كان يحق له الملك بعد والده، نجده يتعلّق بداود ويحبّه كنفسه. مع العلم أن داود كان المنافس الطبيعي له على العرش. « أن نفس يونانان تعلّقت بنفس داود وأحبّه يونانان كنفسه.. وقطع يونانان وداود عهداً لأنه أحبه كنفسه» (اصموئيل ١٨:١ب، ٣). وعندما طلب الملك شاول من ابنه يونانان قتل داود رفض، وذهب وأخبر داود بعزم والده على قتله، لأنه سرّاً بداود جداً (اصموئيل ١٩:١-٢). لا بل إن يونانان تعرّض للإهانة ولمحاولة قتل من قبل والده شاول لأنه دافع عن داود (اصموئيل ٢٠:٣٠-٣٤). ووصل الأمر إلى حد أن يونانان قال لداود: « مهما تقل نفسك

مَدْيُونِينَ لِأَحَدٍ بِشَيْءٍ إِلَّا بِأَنْ يُحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، لِأَنَّ مَنْ أَحَبَّ غَيْرَهُ فَقَدْ أَكْمَلَ النَّامُوسَ. لِأَنَّ «لَا تَزْنِ، لَا تَقْتُلْ، لَا تَسْرِقْ، لَا تَشْهَدْ بِالزُّورِ، لَا تَشْتَهَ»، وَإِنْ كَانَتْ وَصِيَّةً أُخْرَى، هِيَ مَجْمُوعَةٌ فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ: «أَنْ تُحِبَّ قَرِيبَكَ كِنَفْسِكَ». الْمَحَبَّةُ لَا تَصْنَعُ شَرًّا لِلْقَرِيبِ، فَالْمَحَبَّةُ هِيَ تَكْمِيلُ النَّامُوسِ» (رومية ١٣: ٨-١٠). يؤكد هنا الرسول بولس أن من أحب غيرَه فقد أكمل الناموس، وأن المحبة هي تكميل للناموس. وأن كل الوصايا مجموعة بكلمة واحدة: تحب قريبك كنفسك. وأنه عندما نحب الآخرين فمن المستحيل أن نصنع شرًا لأي إنسان. الأمر نفسه الذي أكدّه الرب يسوع المسيح عندما وضع هذه القاعدة الذهبية: «فكُلُّ ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم. لأن هذا هو الناموس والأنبياء» (متى ١٢: ٧).

دليل عملي: أصحاب المحبة

ولدينا في أصحاب المحبة (كورنثوس الأولى أصحاب ١٣) أكبر دليل عملي يوضح لنا أهمية المحبة في حياتنا كمؤمنين. فإن كنت أتكلّم بلسان ولكن ليس لي محبة فقد صرت نحاساً يطن وصنجاً يرن. وإن كانت لي نبوة وأعلم جميع الأسرار، ولديّ كل الإيمان حتى أنقل الجبال، ولكن ليس لي محبة فلا أنتفع شيئاً. وإن أطعمت كل أموالى وسلّمت جسدي حتّى أحترق ولكي ليس لي محبة فلا أنتفع شيئاً. ثم عدّد الرسول بولس صفات المحبة: «الْمَحَبَّةُ تَتَأَنَّى وَتَرْفُقُ. الْمَحَبَّةُ لَا تَحْسَدُ. الْمَحَبَّةُ لَا تَتَفَاخَرُ، وَلَا تَتَنَفَّخُ، وَلَا تَقْبَحُ، وَلَا تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا، وَلَا تَحْتَدُّ، وَلَا تَطْنُ السَّوَاءَ، وَلَا تَفْرَحُ بِالْإِثْمِ بَلْ تَفْرَحُ بِالْحَقِّ، وَتَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ، وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. الْمَحَبَّةُ لَا تَسْفُطُ أَبَدًا. وَأَمَّا النُّبُوءَاتُ فَسَتَبْطُلُ، وَالْأَسْنَنَةُ فَسَتَنْتَهِي، وَالْعِلْمُ فَسَيُبْطَلُ». وختّم الرسول بولس

بِتَسَاعُلٍ قَائِلًا: « وَإِنْ أَحْبَبْتُمْ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ فَضْلٍ لَكُمْ؟ فَإِنَّ الْخُطَاةَ أَيْضًا يُحِبُّونَ الَّذِينَ يُحِبُّونَهُمْ. وَإِذَا أَحْسَنْتُمْ إِلَى الَّذِينَ يُحْسِنُونَ إِلَيْكُمْ، فَأَيُّ فَضْلٍ لَكُمْ؟ فَإِنَّ الْخُطَاةَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ هَكَذَا. وَإِنْ أَفْرَضْتُمْ الَّذِينَ تَرْجُونَ أَنْ تَسْتَرِدُّوا مِنْهُمْ، فَأَيُّ فَضْلٍ لَكُمْ؟ فَإِنَّ الْخُطَاةَ أَيْضًا يُفْرَضُونَ لِكَيْ يَسْتَرِدُّوا مِنْهُمْ الْمَثَلُ. بَلْ أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، وَأَحْسِنُوا وَأَفْرَضُوا وَأَنْتُمْ لَا تَرْجُونَ شَيْئًا، فَيَكُونُ أَجْرُكُمْ عَظِيمًا وَتَكُونُوا بَنِي الْعَلِيِّ، فَإِنَّهُ مُنْعِمٌ عَلَى غَيْرِ الشَّاكِرِينَ وَالْأَشْرَارِ». وختّم حديثه قائلًا: « فَكُونُوا رُحَمَاءَ كَمَا أَنَّ آبَاكُمْ أَيْضًا رَحِيمٌ» (لوقا ٦١: ٣٢-٣٦). قارن هنا الرب يسوع المسيح بين موقفين، موقف المؤمنين بالمسيح وموقف الناس الآخرين. فإذا كنا كمؤمنين نتصرّف كباقي الناس فأى فضل أو نفع لنا؟ فإذا كنا نحب فقط الذين يحبوننا، ونحسن إلى الذين يحسنون إلينا، ونفرض الذين نتوقع أن نستردّ منهم، فأى فضل لنا؟ أو ما هو الفرق بيننا كمؤمنين وبين الناس غير المؤمنين الذين يفعلون هكذا؟ وما هي الميزة التي نتميّز بها عنهم؟

المحبة والأنانية

إن عكس المحبة هي الأنانية ومحبة الذات. فمن السهل جداً أن يكون الإنسان أنانياً، يطلب كل شيء لنفسه دون النظر للآخرين وحاجاتهم، إذ هذه هي طبيعة البشر الخاطئة. لكن من الصعب جداً أن نحب الآخرين كنفسنا، ونعاملهم كما نود نحن أن يعاملونا. ولنلاحظ أنه ليس خطأ أن نحب نفوسنا، لكن علينا أن نحب الآخرين كمحبتنا لنفوسنا، وهو ما رأيناه من محبة يوناتان لداود. وبالنتيجة علينا كما قال الرب يسوع المسيح أن نكون رحماء كأبينا السماوي الذي هو أساس ومصدر كل رحمة.

«تحب قريبك كنفسك»

أما الرسول بولس فقد أوصانا قائلًا: «لَا تَكُونُوا

قائلاً: « أَمَّا الْآنَ فَيَثْبُتُ: الْإِيمَانُ وَالرَّجَاءُ وَالْمَحَبَّةُ،
هَذِهِ الثَّلَاثَةُ وَلَكِنَّ أَعْظَمَهُنَّ الْمَحَبَّةُ ». (١ كورنثوس ١٣: ٤-٨، ١٣). أجل إن المحبة لن
تسقط أبداً. وسيأتي اليوم الذي سينتهي فيه كل شيء،
بينما تبقى المحبة إلى الأبد.

فهل ترانا نعامل الآخرين كما نود أن يعاملونا؟
وهل نسعى لكي نتحلّى بصفات المحبة هذه، فنحب
الآخرين كنفوسنا؟ وهل نطلب من الله أن يساعدنا
لكي نتخلّى عن أنانيتنا؟